الدولة الرومانية . والواقع ان الامبراطورية الرومانية كانت قد تلقت قبل البرابرة صدمات أشد هولاً واعظم خطباً ، فصمدت لها وتغلبت عليها ، بل اكتسبت من عراكها قوة جديدة وعزماً أنفذ . ولكنها ، عند مجيء البرابرة ، كانت قد انحلت داخلياً ، فلم تقف امام هجماتهم . بل ان انحلالها ذاته هو الذي دعا البرابرة اليها ، وأطمعهم فيها .

وما زال بعضنا يؤمن بان غزوات الترك والتتر هي التي قضت على الخلافة العباسية وعلى الملك العربي عموماً . ولكن الواقع هنا ايضاً هو ان العرب كانوا قد غُلبوا على امرهم داخلياً ، قبل أن يغلبهم التتر ، وانهم لو شئت عليهم تلك الغزوات وهم في دور تنبههم ونموهم لما طغت عليهم ، بل لعلها كانت ، بالعكس ، منشطة لهم ومجددة .

وهكذا الحال عند باقي الامم .

*

ان النكبة التي نزلت بنا اليوم هي اذن محك لوضعنا الداخلي الحاضر . فاذا كانت عوامل الرجعية والانحلال هي المسيطرة علينا ، فان هذه النكبة ستزيدنا ضعفاً وانحلالا وتفرقاً . اما اذا كان لعوامل التقدم والنمو بعض القوة — حتى لو لم تكن هي السائدة — فان الصدمة العنيفة التي تلقيناها خليقة بان تعزز هذه العوامل وتمشي بها قدماً بمزيد همة وتراكم أثر .

وإنا كثيراً ما نتكلم عن نهضتنا العربية الحاضرة ونباهي